

العلاقة بين إباضية الجزائر وإباضية عمان في الفترة ما بين القرنين الحادي عشر والعشرين الميلاديين

الأستاذ الدكتور مبارك جعفري جامعة احمد دراية أدرار . الجزائر

ورقة علمية قدمت في الملتقى الدولي الثامن المنظم من طرف وحدة الدراسات
العُمانية جامعة آل البيت المفرق بالتعاون مع سفارة سلطنة عُمان في المملكة
الأردنية الهاشمية الملتقى موسوم ب: "التواصل الحضاري العُماني المغربي في
العصر الحديث" المنعقد يومي الثلاثاء - الأربعاء: 13-14 ذو القعدة 1432 هـ
الموافق: 11-12 تشرين الأول (أكتوبر) 2011

تمهيد: يعد المذهب الإباضي من أقدم المذاهب الإسلامية، وهو ينسب للإمام عبد
الله بن أباض التميمي (ت86هـ/705م)، وهو أحد التابعين، عاصر الخليفة الأموي
عبد الملك بن مروان (حكم ما بين 65 . 86هـ)، وكانت له معه مراسلات⁽¹⁾، هذا
بالرغم من أن إمامه الأول ومؤسس المذهب هو جابر بن زيد الأزدي العماني⁽²⁾ (ت
93هـ/711م)، الذي أخذ عن ابن عباس رضي الله عنه وجمع من الصحابة، وقد
سكن البصرة وأخذ عنه الكثير من الناس. وبعد وفاته خلفه الإمام أبو عبيدة مسلم بن
أبي كريمة، الذي قام بأعباء الدعوة وبدأ تركيز جهوده على المناطق البعيدة، وكان
اختياره على سلمة بن سعيد للتوجه إلى المغرب في أوائل القرن الثاني للهجرة⁽³⁾.

وجد الإباضيون في بلاد المغرب أرضا صالحة للدعوة في ظل تعرض
السكان للاضطهاد والتمييز وانعدام المساواة تحت حكم الأمويين، وبدأت الدعوة

(1) حصاد ندوة الدراسات العمانية: إصدار وزارة التراث، ط1، مطبعة سجل العرب، سلطنة
عمان، 1400هـ/1980م، ج3، ص 256.

(2) عوض محمد خليفات: الأصول التاريخية للإباضية، العدد 27، ط الثالثة، وزارة التراث
القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1415هـ/1994م، ص 9.

(3) أحمد بن سعيد أبو العباس الشماخي: السير، طبعة حجرية، القاهرة، 1883م، ص 98.

الاباضية في بلاد المغرب تشق طريقها منذ عام (127هـ / 744م)، وبعد أخذ ورد ومحاولات عدة أشهرها محاولة أبو الخطاب في المغرب الأدنى، أثمرت جهودهم بقيادة عبد الرحمان بن رستم في تأسيس الدولة الرستمية (160 - 296 هـ / 777 . 909م) والتي اتخذت من تهرت في المغرب الأوسط عاصمة لها، فكانت كما قال عنها الشيخ مبارك الميلي: "إسلامية في قضائها، عربية في معارفها، بربرية في عصبيتها فارسية في إدارتها"⁽⁴⁾ كما عرفت استقرارا ونموا في مختلف المجالات، وبعد سقوطها على يد الفاطميين استمر نشاط الإباضيين في الجنوب بعيدا عن قبضة الفاطميين، فورثت ورجلان الحضارة الرستمية في المغرب الأوسط ثم واد ميزاب بعدها، وقد ساعد على ذلك نظام العزابة⁽⁵⁾ الذي التزم به الأباضية، وكان يتولى الإشراف على جميع نواحي الحياة في المجتمع.

وبني مزاب في الأصل هم من قبيلة بني مصعب الزناتية البربرية التي تنتسب لمصعب بن بادين الذي انتقل بنوه وبني إخوته إلى المنطقة الموجودون بها الآن، وتم تحريف الاسم بسبب النطق وتعدد اللهجات وتقادم العهد إلى بني مزاب، وما يؤكد هذا الرأي إبدال بني مزاب للصاد زايا في بعض الكلمات مع تقخيما مثل الصلاة التي أصبحت تَزَالِيْتُ، والصوم أُرْمِي، وهناك من يرى أن كلمة مِرَاب هي

(4) راجح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته، ط3، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2000، ص 27.

(5) حلقة العزابة أو هيئة العزابة أو مجلس العزابة أو نظام العزابة نظام نشأ عام 1018هـ/409م، على يد أبي عبد الله محمد بن بكر الفرستائي النفوسي المتوفى سنة 1049هـ/440م، في غار تينسلي ببلدة اعمر بوادي ريغ في الجنوب الشرقي للجزائر والذي اعتكف في الغار واتخذ حلقة لتعليم القرآن وسمى الحلقة بالعزابة لأن من شروط الانضمام إليها العزوبة عن الدنيا والتفرغ لكتاب الله وخدمة المجتمع على القيم القرآنية، تطورت الحلقة مع مرور الوقت واصبحت لها أدوار مختلفة في المجتمع الإباضي. للمزيد ينظر: صالح بن عمر سماوي: العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بمزاب، ط1، جزآن، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، غرداية 2005م.

نفسها كلمة زاب⁽⁶⁾، وقد كان بنو مصعب في أول الأمر على مذهب المعتزلة لكن الدعوة التي قام بها الداعية أبو عبد الله محمد بن بكر الفرستائي⁽⁷⁾ من أريغ لاقت استجابة وسط بني مصعب، واعتنقوا المذهب الإباضي ولم يكن هذا التحول سهلا بل استغرق وقتا من الزمن⁽⁸⁾.

وبحكم الانتماء إلى المجال الإباضي كانت العلاقة بين إباضية الجزائر وعمان علاقة تفاعل وتكامل مستمر عبر التاريخ ولغاية اليوم، من خلال الزيارات والمراسلات العلمية المتبادلة بين هذين المركزين الحضاريين.

وهو ما سنتناوله في هذه المداخلة والتي تتناول الاشكال الآتي: كيف كانت العلاقة بين إباضية الجزائر وإباضية عمان خلال الفترة الممتدة ما بين القرنين الحادي عشر والعشرين الميلاديين؟ وتكمن أهمية الموضوع وأهداف الدراسة في تسليط الضوء على البعد الحضاري للعلاقات التاريخية بين الجزائر وسلطة عمان وإبراز أهمية هذا الدور في دفع العلاقات بين البلدين اليوم، في وقت أصبح للأمر الثقافي والتاريخية دورا بارزا في الترابط بين الشعوب والامم وتقريب المسافات بين الشعبين الشقيقين وسيكون تناولنا للموضوع وفق الخطة التالية:

⁽⁶⁾ يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1992م، ص ص 21، 22.

⁽⁷⁾ أبو عبد الله محمد بن بكر الفرستائي من علماء نفوسة درس على يد مشائخ الجبل ثم انتقل إلى جربة والقيروان ومنها إلى وادي ريغ كانت له حلقة علم كثير التنقل بها يدعوا من خلالها الناس إلى المذهب الإباضي ونشر تعاليم الإسلام بنى مقامه بالعطف سنة 422هـ توفي سنة 440هـ بعد أن ترك نظام الحلقة أو العزابة ينظر ترجمته: أحمد بن سعيد أبو العباس الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1974م، ج 1، 167 . 191، ج 2، ص ص 377 . 392. الشماخي: المصدر السابق، ج 2، ص ص 61 . 67، إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية من القرن 1 إلى القرن 15 هـ، نشر جمعية التراث، غرداية، 1999، ج 2، ص ص 368 . 371.

⁽⁸⁾ يوسف بن بكير: المرجع السابق، ص ص 24، 25.

1 . بدايات العلاقة بين الجزائر وعمان .

2 أسس العلاقة بين المركزين .

3 . مكانة عمان عند أهل المغرب .

. خاتمة .

1 . بدايات العلاقة بين إباضية الجزائر وإباضية عمان :

تعود بدايات العلاقة بين الجزائر وعمان إلى الفتوحات الإسلامية لشمال إفريقيا حيث شارك الكثير من افراد قبيلة الأزد العمانية في هذا الفتح⁽⁹⁾، ومع بدايات الدعوة الإباضية كان تركيز الأئمة الإباضيين على المناطق البعيدة ومنها شمال إفريقيا، وبعد قيام الدولة الرستمية في الجزائر توافد عليها الكثير من أتباع المذهب المضطهدين من عمان ومن مختلف مناطق العالم الإسلامي وحتى من باقي الفرق والمذاهب الأخرى لما كانت تتمتع به من تسامح وحرية للفكر⁽¹⁰⁾ وكان علماء تيهرت يحترمون إخوانهم في المشرق ويعتبرونهم الأساس الذي قام عليه المذهب ويطلبون المشورة في كثير من أمور دينهم ودنياهم من أئمة المشرق؛ فقد احتكم الأمام عبد الوهاب بن رستم والمنشقين عليه إلى الإمام الربيع بن حبيب في البصرة وأقنعت أجابته جانبا كبيرا من المعارضين، وكان أباضية المشرق بدورهم يولون اهتماماً كبيراً بالدولة في المغرب ويدعمونها، ويرقبون مدى التزام ولائها بالدين وتعاليم المذهب، واستمر هذا التواصل لغاية اليوم بسبب مجموعة من الأسس والركائز جسدتها على أرض الواقع.

(9) أبي القاسم عبد الرحمان بن عبد الله ابن عبد الحكم القرشي المصري: فتوح مصر وأخبارها، مطبعة بريل، ليدن، 1930، ص184.

(10) محمد الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م ص 93.

2 . أسس العلاقة بين المركزين: قامت العلاقة بين المركزين على مجموعة من الأسس منها:

أ . حملة العلم: لقد شكل حملة العلم حلقة التواصل الأولى بين المغرب والمشرق الإسلامي عامة ومنها عمان والجزائر، فمن بلاد المغرب كانت انطلاقتهم نحو المشرق لطلب العلم والأخذ من نبعه الصافي على يد الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، ومنهم عاصم السدراتي من قبيلة سدراته في الجزائر⁽¹¹⁾، وبعد عودة الطلبة الخمسة عملوا علي تطبيق توصيات الإمام، وكان من جملة ما قاموا به إقامة الإمامة، ومجالس العلم يفقهون الناس أمور دينهم، كما أقاموا كيان سياسي مستقل في طرابلس وتهرت وساروا بين الناس بالعدل.

ب . الحج: شكل الحج فرصة سنوية سانحة للالتقاء بين إباضية المغرب وإباضية عمان، كما ساهم في تبادل وجهات النظر وتنشيط التواصل بين المركزين ويعد أهم وسيلة ربطت المغرب بالمشرق⁽¹²⁾، ويحدثنا الدرجيني عن الإمام عبد الوهاب الذي سار يوماً متوجهاً إلى الحج وفي طريقه مر بجبل نقوسة فأعربوا له عن خوفهم من العباسيين أن يفتكوا به، فقام الإمام بمراسلة إخوانه بالمشرق يستفتيهم في هذا الأمر فأفتوه بأن يستأجر من يحج مكانه خوفاً على حياته⁽¹³⁾، لكن بالرغم من ذلك لم يمتنع الإباضية من أداء هاته الفريضة بغرض الالتقاء بإخوانهم في بلاد الجريد، وجبل نقوسة، ومصر، وعمان⁽¹⁴⁾، ولما وقع الخلاف بين الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم وابن فندين وأصحابه حول ولاية الأمام عبد الوهاب اجتمع رأي الناس على مراسلة علماء المشرق وأرسلوا رسولين إلى مكة والتقيا هناك بالإمام الربيع بن حبيب العُماني ومعه مجموعة من العلماء فأعطوهم الجواب بصحة ولاية

(11) محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، القاهرة، 1963م، ص 130.

(12) الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص 325.

(13) نفسه: ص ص 66، 67.

(14) مزهودي مسعود: الإباضية في المغرب الأوسط، جمعية التراث، المطبعة العربية، الجزائر، 1996، ص 120.

الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم⁽¹⁵⁾. وكان الحجاج القادمين من بلاد المغرب ينصبون خياما لهم تعرف باسم مضارب محبوب يجتمع الإباضية فيها من كل حذب وصوب مستغلين فرصة الحج لبث دعوتهم فكانت تلك الخيام بمثابة مدارس متنقلة لنشر المذهب، ومما دل على ذلك ما وصفه العالم الوارجلاني يعقوب بن يوسف إبراهيم المتوفى في القرن السادس الهجري الحادي عشر ميلادي في قصيدته الحجازية التي دون فيها رحلته إلى الحج⁽¹⁶⁾، وذكر فيها ما أخذه من العواصم العلمية بالمشرق وأخذ بعدها في تأليف العديد من الكتب⁽¹⁷⁾، ومن المتأخرين نذكر الشيخ الحاج صالح بن عمر لعلّي من مزاب والذي حج مرتين كانت الثانية سنة (1328هـ/1910م)، وأقام بالحجاز عاما كاملا قضاه في القراءة ومجالسة العلماء، كما كان يرسل الرسل إلى عمان فينسخون له الكتب النفيسة⁽¹⁸⁾.

وكان إباضية الجزائر يعملون بشكل دائم على شراء الأوقاف في البقاع المقدسة من أجل راحة الحجاج وتحديد أماكن معلومة للالتقاء، فمثلا تم سنة (1347هـ/1929م) جمع التبرعات في المساجد المزابية لإصلاح خيمة الحجاج بمنى، وتم في نفس السنة إنشاء خيمة للحجاج المزابين في عرفات بمساعي السيد عيسى بن بالحاج الحويذق، وفي سنة (1355هـ/1937م) اشترى بنو مزاب دارا لإيواء الحجاج في المدينة المنورة مجاورة للمسجد النبوي الشريف⁽¹⁹⁾.

ب . الزيارات والرحلات المتبادلة: تعد الرحلات والزيارات بين اباضية المشرق والمغرب وسيلة من وسائل الاتصال، سواء ما كان منها لأمر خاصة أو الزيارات العلمية، أو لتفقد أحوال إخوانهم⁽²⁰⁾ بل أكثر من ذلك أن الإخوة في المشرق بعدما

⁽¹⁵⁾ الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص ص 48، 49.

⁽¹⁶⁾ إبراهيم بحاز وآخرون: المعجم السابق، ص 392.

⁽¹⁷⁾ محمد الطمار: المرجع السابق، ص 166.

⁽¹⁸⁾ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص ص 177، 187.

⁽¹⁹⁾ نفسه: ص 198.

⁽²⁰⁾ مسعود مزهودي: المرجع السابق، ص 119.

سمعوا بأمر الدولة الرستمية وما هي عليه من العدل والاستقامة قرروا تقديم الدعم لإخوانهم في المغرب فأرسلوا لهم ثلاثة أحمال من المال مع وفد من الأعيان، ثم أرسلوا في المرة الثانية عشرة أحمال لكن الإمام اعتذر لأنه لم يعد بحاجة إليها⁽²¹⁾، كما تحدث الإدريسي عن أناس كانوا يتجولون بين مصر ووارجلان قائلاً: "وأهل هذه المدينة يتجولون حتى ينتهوا من جهة المشرق إلى بلاد مصر، وينصرفون فيصلون إلى بلاد وارجلان وسائر بلاد المغرب"⁽²²⁾ كما عاش بتيهت وحواضرها الكثير من الإباضية المشاركة ومنهم العمانيون الهاربون من بطش العباسيين ملتجئين إلى إخوانهم في المذهب⁽²³⁾، جالبين ما زخرت به الحضارة في المشرق⁽²⁴⁾، وتواصلت الزيارات والرحلات بعد سقوط الدولة الرستمية ومن الأمثلة على ذلك: من جانب عمان وفي القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي انتقل الفقيه العماني الحاج محمد بن عبد الله السمائي إلى المغرب مروراً بمصر وكان ممن صحبه أحمد بن سعيد الشماخي وزارا أبي يوسف يعقوب بن أحمد بن موسى ويذكر الشماخي أنه وقعت بين الاثنين مناظرة في الطب⁽²⁵⁾، وفي الفترة المعاصرة هناك الكثير من الأمثلة عن هاته الرحلات منها رحلت الشيخ الحاج إبراهيم بن يوسف طفيش (ت1303هـ/1886م) إلى عمان وتلقيه هناك العلوم الشرعية واللغة العربية، كما حل بمزاب سنة (1325هـ/1907م) الشيخ سعيد بن أحمد بن ناهي الرستاقي العماني⁽²⁶⁾.

(21) الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص ص 125، 126.

(22) محمد بن عبد العزيز الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، (د.س.ن)، ص 25.

(23) محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس 160هـ . 296هـ، ط 3، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1408هـ . 1987م، ص 101، 102.

(24) محمد الطمار: المرجع السابق، ص 95.

(25) محمد بن قاسم ناصر بوحجّام: التواصل الثقافي بين عُمان والجزائر، ط1، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 2003م، ص ص 30 . 35.

(26) الحاج موسى بن عمر: المرجع السابق، ص 511.

أما الشيخ الحاج عبد الرحمان بن عمر نوح وهو من بني يزقن فقد توفي في عمان سنة (1332هـ/1914م) بعد رحلة إلى الحج ومنها إلى عمان⁽²⁷⁾، كما أن الشيخ القطب أحمد بن الحاج يوسف طفيش (ت1332هـ/1914م) استقبل وفد من زنجبار سنة (1294هـ/1877م) وزاره سنة 1900م سليمان الناصر والي دار السلام، وفي طريقه إلى الحج سنة (1303هـ/1886م) زار عمان⁽²⁸⁾.

ج . تبادل الرسائل: من أهم وسائل الاتصال منذ البداية بين عمان والمغرب الرسائل، وكان يتم اللجوء إليها حين يتعذر التنقل والارتحال، أو حين لا تدعي الضرورة ذلك، لما فيها من قلة المشقة والتعب، ولسهولتها، ولقد لعبت دورا بارزا في توثيق العلاقات بين القطرين، وهي تعكس روح التضامن والتواصل والتآزر والاحترام المتبادل بينهما، أما موضوعاتها فكانت متنوعة، لكن أغلبها كان علمي بغرض الاستشارة، أو طلب كتب ووثائق، أو ما يخص الإمامة والسعي لتحقيقها، أو التحقق من مسألة، أو البحث عن فتوى حول مسائل الدين المختلفة خاصة الحديثة منها، أو فض نزاع، أو الاطمئنان على بعضهم البعض، أو التطرق إلى قضايا مختلفة تهم القطرين⁽²⁹⁾.

وتتضمن مصادر الإباضية الكثير من تلك الرسائل، ومن الأمثلة على ذلك إرسال الشيخ سعيد بن خلفان الخليفي رسالة يخبر فيها أهل المغرب بتتصيب الإمام عزاب بن قيس بن حزان بن قيس، كما كان إباضية وارجلان وغيرهم من مناطق أخرى يتواصلون فيما بينهم لمعرفة أمور دينهم، فيذكر "الوارجلاني" بأن الشيخ أبي صالح جنون بن يمریان أرسل إلى الشيخ أبي حرز أثناء إقامته بمصر يطلب منه الكتابة له في مسائل يجهلها الناس⁽³⁰⁾، كما كان للشيخ القطب أحمد طفيش مراسلات مع الشيخ عبد الله بن حميد السالمي العماني الذي أحيا الإمامة، والمعروف

(27) يوسف بن بكير: المرجع السابق، ص 134.

(28) نفسه: ص 135.

(29) فرحات بن علي الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب وإباضية البصرة وعمان، ط1، سيراس للنشر، تونس 2005، ص 258.

(30) مسعود مزهودي: المرجع السابق، ص 120.

بعلاقاته الوطيدة مع أهل المغرب⁽³¹⁾، كما وردت أسئلة من عمان سنة (913هـ/1507م) على الشيخ أبو مهدي عيسى بن إسماعيل من عرش أولاد نايل (ت971هـ/1564م) وهو من المالكيين الذين اعتنقوا المذهب الإباضي، حول الأصول والفروع، وكان الجواب في رسالة بعنوان "جواب لأهل عمان في الأصول والفروع"⁽³²⁾، كما أن الشيخ القطب أحمد بن الحاج يوسف طفيش (ت1332هـ/1914م) له جوابا لبعض علماء عمان طبع سنة (1314هـ) وله جواب للشيخ عبد الله بن راشد العماني⁽³³⁾ حول رسائل جاءت من هناك. وقد كان الشيخ الباروني في عمان دوما يتبادل الرسائل مع الشيخ الحاج عمر العنق والشيخ إبراهيم أبو اليقظان وذلك بحكم دراسته في الجزائر وربطه لعلاقات صداقة مع زملاء الدراسة⁽³⁴⁾.

د . الكتب والمؤلفات: تعد الكتب والمؤلفات من بين وسائل الاتصال الرئيسة بين عمان والجزائر، ولقد كان اهتمام الرستميون بالثقافة والكتب واضحا، وعملوا منذ البداية على إرسال البعثات العلمية للبصرة والمشرق، وكانت تعود ومعها مختلف الكتب خاصة ما تعلق بالمذهب⁽³⁵⁾، وكلما ظهر كتاب بالمشرق يهتمهم جلبوه وزودوا به مكتبتهم المعصومة، ويقال أن عبد الوهاب أرسل إلى إباضية البصرة ألف دينار ليشتروا له كتباً فلما بلغتهم اشتروا ورقا استنسخوه كتباً، وكانت حمولتها أربعون جملاً، ولما قدمت عليه وضعها في المعصومة ولكن للأسف تم إحراقها مع قدوم الفاطميون⁽³⁶⁾.

⁽³¹⁾ يوسف بن بكير: المرجع السابق، ص 200.

⁽³²⁾ نفسه: ص 79.

⁽³³⁾ نفسه: ص ص من 134 إلى 141.

⁽³⁴⁾ الحاج موسى بن عمر: القضايا الوطنية والعربية الإسلامية من منظور أعلام مزاب 1902 . 1962، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف أ د شاوش حباشي، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، الموسم الجامعي 2007 . 2008، ص 532.

⁽³⁵⁾ محمد طمار: المرجع السابق، ص 95.

⁽³⁶⁾ نفسه: ص 94.

كما أنه في إمامة ناصر بن مرشد اليعربي سنة (1033هـ / 1624م)، وفي إمامة عزان بن قيس سنة (1285هـ / 1868م) تمت عمليات لتبادل الكتب بين المشرق والمغرب، كما أن هناك رسائل كثيرة يطلب فيها أصحابها كتباً من المشرق والمغرب على حد سواء، أو يخبرون عن وصول كتب؛ فهذا الشيخ عبد العزيز الثميني الميزابي الجزائري (1130. 1223هـ). أرسل إلى عمان يطلب من يشتري له كتب في مختلف الفنون⁽³⁷⁾، ولم يكتفي بإباضيوا الجزائر بجلب الكتب بل عملوا على دراستها وتحققها ونشرها ومن الأمثلة على سبيل المثال لا الحصر: الشيخ أبو إسحاق إبراهيم طَفَيْشُ الذي قام بتحقيق ونشر كتابي "جواهر النظام في علمي الأديان والأحكام" و"تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان" لعبد الله بن حميد السالمي العماني⁽³⁸⁾. وعمل الشيخ القطب أحمد بن الحاج يوسف طفيش (ت1332هـ/1914م) على شرح "الدعائم" لابن النظر العماني وتم طبعه سنة (1326هـ/1908م)، وله كتاب "الرد على الصفرية والأزارقة" جواباً لبعض علماء عمان طبع سنة (1314هـ / 1896)، وله كتاب "جواب للعالم عبد الله بن راشد العماني"⁽³⁹⁾. واهتم أباضيوا الجزائر بعمان من خلال مؤلفاتهم ومنها كتاب "رسالة عمان الإمامية" للشيخ أبو إسحاق إبراهيم طَفَيْشُ⁽⁴⁰⁾، كما ألف الشيخ عبد الرحمان بن عمر باكلي: كتاب بعنوان "رسالة عُمان"⁽⁴¹⁾.

. **مكانة عمان عند أهل المغرب:** تعد عمان مركز قيادة بالنسبة للمذهب الإباضي، بحكم أن المذهب الذي ظهر في البصرة كان إمامه الأول جابر بن زيد عماني الأصل وهو من هذب مبادئه وأوضح معالمه، دون أن ننسى أن العلماء الأوائل معظمهم كان من أصول عمانية، وحتى الانتشار في البصرة كان بين سكان

⁽³⁷⁾ محمد بن قاسم ناصر بوحجام: المرجع السابق، ص 48.

⁽³⁸⁾ يوسف بن بكير: المرجع السابق، ص 187.

⁽³⁹⁾ نفسه: ص ص 137، 140، 141.

⁽⁴⁰⁾ نفسه: ص ص 188، 189.

⁽⁴¹⁾ نفسه: ص 231.

عمانيين، أو ينحدرون من أصول عمانية، كما أن معظم العلماء الذين حملوا على عاتقهم تثبيت المذهب ونشر أفكاره وإرسال حملة العلم إلى المشرق والمغرب عمانيون، وكانوا الأكثر عرضة للقهر والاضطهاد، لقد تحمل العمانيون كثيرا في سبيل المذهب ولم ينسى لهم إخوانهم في باقي أصقاع العالم الإسلامي ذلك، ولما تولى الإمامة الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة لاقى أشد الاضطهاد هو ورفاقه ومنهم ضمام بن السائب العماني في سبيل الدعوة على يد الحجاج بن يوسف الثقفي ولم يثنهم ذلك عن الحق بل واصلوا الرسالة بثبات⁽⁴²⁾ كما كان معظم حملة العلم من العمانيين وقامت أول إمامة إباضية في عمان سنة (132هـ/750م)، ولقد عبر الإباضيون عن ذلك بقولهم: "باض الدين بمكة، وفرخ بالمدينة، وطار إلى البصرة، ونهض في عمان"⁽⁴³⁾.

ولهذه الأسباب كان تعلق إباضية المغرب بإخوانهم في البلد الأم كبير، يستعينون بهم، ويستفتونهم ويلجئون إليهم، كما أوفدوا بعثات علمية للدراسة على أيدي علماء الإباضية في عمان والبصرة، وقاموا بزيارات كلما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، وتعد كتبهم في المذهب ونواحي أخرى أساسية للدراسة⁽⁴⁴⁾.

ولهذا دوماً اعتبر الإباضيون المغاربة عمان وطناً لهم وما يؤكد ذلك الشيخ أبو إسحاق إبراهيم طَفَيْشُ الذي كان ممثلاً لإباضية الشرق كافة في المؤتمر الإسلامي بالقدس المنعقد في رجب (1350هـ/1931م)⁽⁴⁵⁾ وأثناء وجوده في القاهرة درس على يديه الكثير من الطلبة العمانيين في دار الطلبة الإباضية في مصر⁽⁴⁶⁾ وكان له دور نشط لصالح انضمام عمان للجامعة العربية بوصفه سفير الإمامة في

⁽⁴²⁾ الدرجيني: المصدر السابق، ج 2 ص 247.

⁽⁴³⁾ فاروق عمر فوزي: الإمامة الإباضية في عمان، جامعة آل البيت، عمان، الأردن، 1997م، ص 34.

⁽⁴⁴⁾ محمد بن قاسم ناصر بوحجام: المرجع السابق،، ص 20.

⁽⁴⁵⁾ يوسف بن بكير: المرجع السابق، ص ص 188، 189.

⁽⁴⁶⁾ نفسه: ص 187.

القاهرة والجامعة العربية وشرح ذلك قام بتأليف رسالة حول تاريخ وجغرافية عمان وقام بطبعها وتوزيعها على أعضاء الجامعة العربية⁽⁴⁷⁾ وقام بنفس الدور من أجل عرض قضية عمان على الجمعية العامة للأمم المتحدة والتعريف بها سنة (1381هـ/1961م) وإدانة العدوان البريطاني عليها⁽⁴⁸⁾، وسافر من أجل ذلك إلى نيويورك رفقة الأمير حمير بن سليمان.

هذا دون أن ننسى أن عمان كانت دوما حاضرة في الصحافة المزبانية، ودائما تتتبع أخبارها، حيث جاء في جريدة وادي مزاب في أحد المقالات ما يلي: "إن عظمة الإمام أبي عبد الله الخليلي قد استوزر عطوفة سليمان باشا الباروني وفوضه بإدارة المملكة حسب النظم الحديثة وأوكل إليه أمر السياسة الداخلية والخارجية... وهو تطور عظيم تدخل فيه هذه المملكة العربية القوية... ولقد اهتزت لهذا التطور العظيم الجزائر... ولا غرو في أنه يبشر بدخول تلك البلاد العزيزة في حياة جديدة"، كما أشادت الجريدة في مقالات عدة بتجربة عمان ومحاولتها الربط بين الأصالة والمعاصرة⁽⁴⁹⁾، كما كانت تنشر مقالات العلماء والشخصيات العمانية مثل الشيخ الباروني⁽⁵⁰⁾، وعند قيام الإمامة كان لوجود الباروني في عمان وفي مركز قيادي عامل رئيسي في إنعاش العلاقة بين إباضية الجزائر وعمان وذلك بحكم دراسته في الجزائر⁽⁵¹⁾.

. خاتمة: وفي الأخير يمكن القول أنه ولكون عمان مركز الإباضية في المشرق، ويسكنها شعب أغلبه إباضي، إلى جانب ماضيها التاريخي وسبقها وفضلها على أتباع المذهب، كانت لها علاقات وطيدة على مر التاريخ مع المغرب الإسلامي وخاصة الأوسط منه، هاته العلاقة حملت طابع حضاري يقوم على أسس علمية

(47) الحاج موسى بن عمر: المرجع السابق، ص 533.

(48) نفسه: ص ص 452، 453.

(49) نفسه: ص 512.

(50) نفسه: ص 532.

(51) نفسه.

ودينية متينة، ولم تكن في يوم من الأيام مبنية على أسس اقتصادية أو سياسية، وهو ما أعطاهما القوة وجعلها في منحنى تصاعدي عبر الزمن في منأى عن الصراعات والأزمات، وأمدتها بالاستمرارية هذا دون أن ننسى الدور الذي قامت به كل منهما في سبيل توطيد علاقة المغرب بالمشرق وليس أدل على ذلك مما قاله الشيخ الباروني في وصفه لحال الإباضية: "إن أباضية اليوم بالجبل وزواره وجربة ليسوا كأسلافهم في قليل ولا كثير من التطبيق العلمي لتعاليم الدين فهم الآن كسائر أتباع المذاهب الأخرى سواء بسواء، لا يمتازون عنهم بشيء إلا في النادر القليل، أما أهل ميزاب وعمان فإنهم ما زالوا في القيام بشئون الدين على ما يرضي الله ورسوله"⁽⁵²⁾ وهي شهادة عالم جليل من علماء المذهب تدل على أهمية الحاضرتين ودورهما المذهبي ومدى الترابط بينهما والذي ازداد خلال القرن العشرين متانة نتيجة للأوضاع التي عاشها العالم الإسلامي وتزامن العدوان الإنجليزي على الإمامة في عمان مع نضال الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي ونضال الشعب الفلسطيني والعدوان الثلاثي على مصر مما زاد في تلاحم الشعبين مع باقي الشعوب العربية والإسلامية.

قائمة المصادر والمراجع:

- . الإدريسي محمد بن عبد العزيز الشريف: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د س ن.
- . الباروني سليمان: مختصر تاريخ الإباضية، ط5، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 1995م.
- . بحاز إبراهيم وآخرون: معجم أعلام الإباضية من القرن 1 إلى القرن 15 هـ، نشر جمعية التراث، غرداية، 1999.
- . بن بكير يوسف الحاج سعيد: تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1992م.

(52) سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضية، ط5، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 1995م، ص 30.

- . بوحجّام محمّد بن قاسم ناصر: التواصل الثقافي بين عُمان والجزائر، ط1، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 2003م.
- . بونار رابح: المغرب العربي تاريخه وثقافته، ط3، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2000م.
- . الجعبيري فرحات بن علي: العلاقة بين إباضية المغرب وإباضية البصرة وعمان، ط1، سيراس للنشر، تونس 2005.
- . الحريري محمد عيسى: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس 160هـ . 296هـ، ط 3، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1408هـ . 1987م.
- . حصاد ندوة الدراسات العمانية، إصدار وزارة التراث، ط1، ج3، مطبعة سجل العرب، سلطنة عمان، 1400هـ/1980م.
- . ابن عبد الحكم القرشي المصري أبي القاسم عبد الرحمان بن عبد الله: فتوح مصر وأخبارها، مطبعة بريل، ليدن، 1930، ص184.
- . الدرجيني أحمد بن سعيد أبو العباس: طبقات المشائخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1974.
- . دبوز محمد علي: تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاوالت الثقافية، الجزائر، 2010م.
- . سماوي صالح بن عمر: العزاية ودورهم في المجتمع الإباضي بمزاب، ط1، جزآن، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، غرداية 2005م.
- . الشماخي أحمد بن سعيد أبو العباس: السير، طبعة حجرية، القاهرة، 1883م.
- . الطمار محمد: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م.
- . عوض محمد خليفات: الأصول التاريخية للإباضية، العدد 27، ط الثالثة، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1994م.
- . بن عمر الحاج موسى: القضايا الوطنية والعربية الإسلامية من منظور أعلام مزاب 1902 . 1962، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر،

- إشراف أ د شاوش حباشي، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، الموسم الجامعي 2007 .
2008.
- فوزي فاروق عمر: الإمامة الإباضية في عمان، جامعة آل البيت، عمان، الأردن،
1997م.
- مزهودي مسعود: الإباضية في المغرب الأوسط، جمعية التراث، المطبعة العربية،
الجزائر، 1996.